



استثمار المنهج التداولي
في التواصل البيداغوجي وديداكتيك اللغة العربية
الباحث: البشير اخريصي
المغرب

ملخص المقال:

يتبين في هذا المبحث أن التداولية قطعت أشواطاً مهمة، في ضبط أرضية صلبة في الدرس اللغوي اللساني، من خلال التحولات المعرفية والاصطلاحية لبعض المفاهيم، والتي عرفت في فترة دون غيرها مروراً من خلال انفتاحها على مباحث أضفت على المنهج التداولي، نوعاً من التوسع والشمولية على قضايا ومباحث متباينة تعكس طبيعة المرحلة التي كانت تحتازها، ومن خلال هذه الحقبة التي مرّت بها جعلت التداولية تخطو خطوة عملاقة، نحو الاتصال والانفتاح على روافد معرفية لبلورة مفاهيمها وتعميق الفهم بمباحثها، وقد حاولنا كشف موقع المنهج التداولي وحضوره في الحقل البيداغوجي التواصلية من خلال ملامسته في الفصل الدراسي، في إطار بناء التعلّمات.

كما أن الوعي بهذا الرهان وتمثله بشكل سليم، انطلاقاً مما جاء في التوجيهات¹ التربوية الخاصة بتدريس اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي؛ يرمي إلى الكشف عن واقع تدريس مكونات اللغة العربية بالمرحلة الثانوية التأهيلية، ومدى مساهمة المقاربة التداولية في تشخيص وتبيان المستوى الديدائكتيكي، للتفصيل في الجوانب الإيجابية رغبة في إغنائها، والجوانب السلبية لإثراء الاهتمام بها، ولفت الأنظار إليها كمشكل جدير بالبحث المتوالي من أجل محوه وتلافيه.

الكلمات المفتاح: التداولية- السياق- التواصل البيداغوجي- التعليم الثانوي.



تمهيد:

يمكن القول أن التداولية قطعت أشواطاً مهمة، في ضبط أرضية صلبة في الدرس اللغوي اللساني، من خلال التحولات المعرفية والاصطلاحية لبعض المفاهيم، والتي عرفت في فترة دون غيرها مروراً من خلال انفتاحها على مباحث أضفت على المنهج التداولي، نوعاً من التوسع والشمولية على قضايا ومباحث متباينة تعكس طبيعة المرحلة التي كانت تجتازها، ومن خلال هذه الحقبة التي مرت بها جعلت التداولية تخطو خطوة عملاقة، نحو الاتصال والانفتاح على روافد معرفية لبلورة مفاهيمها وتعميق الفهم بمباحثها، وقد حاولنا كشف موقع المنهج التداولي وحضوره في الحقل البيداغوجي التواصلية من خلال ملامسته في الفصل الدراسي، في إطار بناء التعلّمات.

كما أن الوعي بهذا الرهان وتمثله بشكل سليم، انطلاقاً مما جاء في التوجيهات² التربوية الخاصة بتدريس اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي؛ يرمي إلى الكشف عن واقع تدريس مكونات اللغة العربية بالمرحلة الثانوية التأهيلية، ومدى مساهمة المقاربة التداولية في تشخيص وتبيان المستوى الـديداكتيكي، للتفصيل في الجوانب الإيجابية رغبة في إغنائها، والجوانب السلبية لإثراء الاهتمام بها، ولفت الأنظار إليها كمشكل جدير بالبحث المتوالي من أجل محوه وتلافيه.

المحور الأول: الدرس التداولي والسياق والتواصل البيداغوجي: مفاهيم ومصطلحات:

1- التداولية Pragmatics:

إن التداولية فرع من فروع اللسانيات الحديثة المعاصرة، يصعب الإلمام بتعريف شامل لها ودقيق، لسعة مجالها وتمازجها وتداخلها مع مختلف العلوم، مما نتج عنها إشكالات عديدة ومتنوعة يصعب حصرها وتنظيمها. وذلك جعل من التداولية مجالاً ثرياً وواسعاً، يسود الإبهام والغموض معظم مصطلحاته ومفاهيمه. ولعل ما يزيد في تركية هذا الالتباس هو محاولة العديد من الدارسين والباحثين أن يؤسسوا لها أطراً معرفية، غير أن تشعب منطلقاتها الفكرية جعل وجهات النظر فيها تختلف وتتضارب، الشيء الذي جعل معالمها غامضة وغير واضحة.

وتقول في ذلك فرانسواز أرمينكو: "ليست التداولية درساً منكفئاً على نفسه فهي تصدر مفاهيمها في اتجاهات متعددة، بل تتدخل في قضايا كلاسيكية داخلية للفلسفة، فهي مفترق طرق لتداخل اختصاصات اللسانيين والمناطقية والسيمايين والفلاسفة السيكلوجيين"³.

ولعل أول صعوبة تصادف التعريف بالتداولية، تتمثل في الاستقرار على مصطلح قار يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة، حيث نجد أنها تتضمن عدة مصطلحات منها التخاطبية والتبادلية والتواصلية والقصدية والمقامية، لذلك فقد تعددت التسميات العربية للمصطلح الأجنبي **pragmatique** حتى إن بعض الباحثين يفضل مصطلح "تداوليات" بصيغة الجمع بدل "تداولية" بصيغة المفرد، لأنهم أدركوا صعوبة توحيد التداولية ومناهجها وأهدافها⁴. ويرجع سبب هذه التسميات إلى سعة الأفق الذي اشتغلت به وكثرة الفضاءات التي تداخلت فيها على وفق مناهج أخرى.

فالتداولية من الدروس الحديثة التي تمتلك كما كبيرا في مواضيعها، إلا أنها غير محددة المعالم، فقد اختلف في تحديد طبيعتها ونوعها، وسبب هذا الاختلاف يعود إلى بدايات هذا العلم، إذ كانت التداولية في بدايتها تغترف من كل العلوم، فلهاذا لم تكن ذات طابع تخصصي، والسبب الثاني يعود إلى تداخل التداولية بالعلوم الأخرى.

جاءت هذه الدراسة لتوضيح هذا العلم الحديث وأبعاده انطلاقاً من تعريفه وتحديد خصائصه وتقاطعه مع مختلف العلوم، ونظراً للاهتمام الكبير الذي توليه الأبحاث العلمية للمصطلح وضرورة تحديده لما له من دور فعال في بناء النظريات والمناهج، سنورد بعض المفاهيم لضبطه من الناحية اللغوية والاصطلاحية أيضاً.



الدلالة اللغوية لمفهوم التداولية:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور (ت 711هـ) الدولة انقلاب الزمان من حال البؤس والصبر إلى حال الغبطة والسرور، والدولة في الحرب أن تدال إحدى الطائفتين على الأخرى⁵.

وجاء في "قاموس المحيط" للفيروز آبادي (ت 817هـ) "دول" وأدالنا الله من عدونا: من الدولة. والإدالة: الغلبة، والدولة لغة في الدلو، وانقلاب الدهر من حال إلى حال⁶.

هذه المعاني والدلالات نصادفها في معاجم أخرى. منها ما ورد في "تاج العروس" للزبيدي محمد مرتضى الحسين (ت 1205هـ) والدولة في الحرب: أن تدال إحدى الفتنتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة.

فإذا حاولنا رصد دلالة المدخل المعجمي د.و.ل في المعاجم العربية الحديثة، اتضح لنا تقاطعها مع نظيرتها القديمة، في الدلالة على تبدل الأحوال وتغيرها. ونستخلص من خلال هذا التحديد أن هذا المدخل المعجمي أضحى يرتبط بالتداول أي التغير والتناقل والتحول.

2.1- الدلالة الاصطلاحية:

عرفها طه عبد الرحمن: بقوله: "وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي "pragmatic" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيي "الاستعمال والتفاعل" معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"⁷.

ويضيف الدكتور طه عبد الرحمن أيضا: "التداول وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"⁸.

وفي كتاب آخر اختصر طه عبد الرحمن المجال التداولي في ثلاثة مبادئ تميزه عن غيره من المجالات الإجرائية: أولها، مبدأ التطبيق الذي يفصله عن المجال الثقافي الاجتماعي، والثاني، مبدأ الجمع بين التحقيق والتقييم الذي يفصله عن المجال الفكري (الإيديولوجي) والثالث، مبدأ الجمع بين الشمول والدوام الذي يفصله عن المجال التخاطبي⁹.

وقد تعددت تعريفات المحدثين للتداولية، واختلف بعضها مع بعض، وقد قدم "محمود نحلة" بعض هذه التعريفات موضحا ما يؤخذ على كل تعريف، مستخلصا تعريفا جامعاً مانعاً، متجنباً بقدر الإمكان ما أخذ على التعريفات الأخرى، فيقول: "من هنا أوجز تعريف للتداولية وأقره إلى القبول هو: "دراسة اللغة في الاستعمال خاصة في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في مكان ما"¹⁰.

نلاحظ أن هي دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب، للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب، بحسب قصد صاحبه، وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التواصلية الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له.

فالتداولية تتجاوز الوصف التركيبي للجملة، أو علاقة المعجم المكون للقضية بالخارج، وهذا مدار علم الدلالة، فثمة قضية جوهرية بالنسبة إلى التداولية تكمن في تحديد العلاقات بين المقامين الداخلي والخارجي للعبارة، وفي رؤية كيف أن المقام الثاني يتدخل في بناء المقام الأول والتفاعل بين الاثنين في تأويل الملفوظ وتفسيره.



وهي بهذا اختصاص جديد في حقل الدراسات اللسانية، فهي تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث، ولا يختلف مفهومها اصطلاحاً عند الغرب، حيث نلاحظ أنه على الرغم من تعدد المصطلحات العربية الموضوعة في مقابل المصطلح الأجنبي "براغماتيقاً" فإن المصطلح العربي الأنسب هو التداوليات، كما أن المعنى غير مقتصر على المتكلم أو المستمع، أو الكلمات فقط، بل يشمل الكل أثناء تداول اللغة في سياق معين.

رغم تواتر استعمال لفظ "التداول" قديماً وحديثاً إلا أن الدلالة الاصطلاحية تأخرت في المعاجم اللسانية الغربية إلى بدايات القرن العشرين، فمصطلح التداولية "pragmatic" يعود مفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي شارل موريس الذي استخدمه سنة 1938 دالاً على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات "simiotic" هذه الفروع هي:

علم التركيب: وهو دراسة العلاقات الشكلية مع العلامات ببعضها البعض.

علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل عليها.

التداولية: وهي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام¹¹. بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، بل هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدتها في القواميس والمعاجم.

مما تقدم، يتبين أن التداولية عند الغرب، هي الدراسة التي تعنى بالمعنى الذي يقصده منتج الخطاب، ويتطلبه سياق ما، بكيفية تجعل هذا المعنى يصل بوضوح إلى متلقي الخطاب، كما أنها الدراسة التي تهتم بكفاية مستخدمي العلامات اللغوية لإنتاج معنى ما، وفقاً لموقف ما، بتفعيل أسئلة من قبيل: (ماذا؟، متى؟، كيف؟) فالتداولية إذن موضوعها هو المعنى الضمني المتعلق بقصد مستخدم العلامة وليس دلالة العلامة.

هذا ما يمكن قوله بإجمال حول تعريف مفهوم التداولية، لا سيما وأن هناك اختلافات كثيرة متفاوتة فيما بينها، وإن شئنا قلنا متقاربة كل من زاويته يكمل تعريف الآخر، وفي نفس الوقت أردنا توضيح الرؤيا حول تحديد مفهوم التداولية.

2- السياق Context:

إن قولنا بأن السياق رافد للتداولية فلأنه سابق عليها في الوجود سواء في السياق المعرفي الغربي الحديث، أو السياق المعرفي العربي الإسلامي، ومما لا شك أن استحضار رؤية المشهد المعرفي العربي الإسلامي للسياق في الحقول المعرفية المختلفة لتجعل عملية الرصد هذه مستمرة مما يغذي الرؤية التداولية -من جانب- ويوطد رؤاها وقضاياها في المشهد العربي الحديث.

إن العناصر السياقية جميعها تمثل في الوقت نفسه عناصر تداولية يدخل بها السياق بأبعاده المختلفة ضمن مكونات التداولية للمعنى، وهذا الذي يدفعنا للقول بأن نظريات السياق تعد أحد أهم روافد البحث التداولي، فليس ثم شك في التداخل الشديد بين التداولية والسياقية¹². وهو ما نجد عند بعض الباحثين "التداولية علم الاستعمال اللساني ضمن السياق، ويتوسع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السياق"¹³.

لقد غير الاهتمام بالسياق مجرى الدراسات اللسانية (البنوية) التي لم تكن تهتم بالسياق الخارجي؛ لأنها تعدّ عنصراً خارجاً عن النظام اللغوي، لكن سرعان ما تغير هذا التصور خاصة مع الدرس التداولي الذي أعاد الاعتبار له، فقد بينت للساني كيف أن السياق بأصنافه المتعددة، يساعد على فهم النص وفك رموزه، فلا يمكننا الاستغناء عن السياق.



وهكذا فالسياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، وبممكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في استعمال اللغة، وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة ومعطلة، لذا فهو يقوم بدور فعال في تواصلية الخطاب وانسجامه، خاصة أن عناصر السياق متغيرة دوماً، وهذا وجه تسميتها بعناصر سياق الخطاب.

ولقد ميزت الدراسات اللسانية خاصة الدلالية منها بين أنواع عديدة من المعاني واعتبرتها أساسية في الوصف الدلالي الشيء الذي أفضى إلى اهتمامها بالسياق باعتبار أنه يلعب دوراً مركزياً في تحديد المعنى، وهو ما يلزمنا الحديث عن مفهومه اللغوي والاصطلاحي، وأنواعه، وعناصره.

1.2- المفهوم اللغوي للسياق:

جاء في مادة (س.و.ق) "سَاقُ الْمَاشِيَةِ يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِيَّاقًا، فَهُوَ سَائِقٌ وَسَوْقٌ شَدَّدَ لِلْمَبَالِغَةِ"¹⁴.

وتقريباً إلى نفس المعنى ذهب صاحب لسان العرب حيث جاء عنه: "وَقَدْ أَنْسَقَتْ وَتَسَاوَقَتِ الْإِبِلُ تَسَاوُقًا إِذَا تَتَابَعَتْ، وَالْمَسَاوِقَةُ الْمَتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا، وَالْأَصْلُ فِي تَسَاوُقٍ تَتَسَاوَقُ كَأَنَّ لِيُضْعِفَهَا وَفَرَطَ هُزْلَاهَا تَتَخَاذَلُ وَيَتَخَلَّفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ"¹⁵.

ونجد في قوله تعالى: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}¹⁶ قيل في تفسير الطبري: "سائق يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بمشهدها"¹⁷.

إذن السياق هو التتابع والتسلسل في الكلام، والعرب استعملته بهذا المعنى وأن هذه المشتقات المتعددة في مصادرها هي وصف "للأسلوب والغرض والغاية ثم توالي وتتابع مكونات النص، وهو التتابع المفهوم من سوق الإبل أو القافلة"¹⁸.

2.2- المفهوم الاصطلاحي للسياق:

أما المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح فيصعب تحديده تماماً، وهذه الصعوبة أدت إلى تعدد الكتابات والبحوث فيه، وتداخل الرؤى، وتعدد المقاربات حوله، "لأنه يستدعي ارتباطات لا يمكن غض الطرف عنها، فيقدر ما يرتبط السياق بالمعرفة الغربية الحديثة - في ذاته، وبوصفه رافداً من أهم روافد التداولية، ارتبط أيضاً بالمعرفة اللغوية عند العرب، فالسياق - بحق - من أخطر القضايا التي انشغل بها التفكير العربي القديم والغربي الحديث، وربما كان من الغريب أن يجتمع سياقان معرفيان ضاربان في التفاوت الزمني، متباينان في الخلفيات المعرفية، على أهمية السياق وخطورته في تأويل الظاهرة اللغوية - والظاهرة البلاغية بعضها - وتحليلها"¹⁹.

عرفه **محمود السعران** بقوله: "هو جملة العناصر المكونة للموقف الإعلامي أو للحال الكلامية"²⁰. وبذلك فهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، عندما تتساق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً. فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا الأخير متعدد، في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك.

إن للمعنى اللغوي - التتابع - أثر كبير في تعريف المصطلح ونبدأ التعريف بقول **تمام حسان**: "المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم يمكن أن ننظر إليه من زاويتين: أولاهما توالي العناصر التي تحقق بالسياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق (سياق النص)، والثانية توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ نسمي السياق "سياق الموقف" بهذا نرى أن سياق النص إما أن يكون قرينة تركيبية (نحوية معجمية) أو دلالية (قوامها العلاقات النصية)، أما سياق الموقف فإما أن يكون ذا دلالة واقعية أو ذهنية، فالواقعية مبناه على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العملية في إطار الموقف الذي وقع فيه الكلام، أما الذهنية فإنها تنشأ عن تداعي المعاني بحيث يثير بعضها بعضاً من تسلسل منطقي"²¹.



ولقد ذهب طه عبد الرحمن إلى "أن القول الطبيعي مجردا عن مقامه تصوير محامله كثيرة ولا يتعين واحد منها إلا بتعيين المقام، حتى إنه يصح الادعاء بأن الأصل في القول الطبيعي أن تتعدد معانيه إلى أن يثبت بالدليل خلاف ذلك؛ وإذا كان الأمر كذلك فقد وجب أن تكون صورته الممكنة متعددة ولا ينحصر تقويمها ضمن قيمة واحدة"²².

وقد قصر صاحب معجم المصطلحات الأدبية ترجمة المصطلح في القرينة الحالية دون الالتفات، وبذلك ينحصر —عنده— في السياق الخارجي²³، ونهني مناقشة السياق بالقول إلى أن: "مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كل من المقام والحال والموقف، وأن مفهوم السياق يتسع أيضا ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بـ **Verbal context** و **Context if situation** أي أن هذا السياق كما فهمه العلماء العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعاً"²⁴.

وبهذا نستنتج بأن السياق في مفهومه العام يقوم على تلك المعطيات اللغوية وغير اللغوية التي تتفاعل في الإنتاج اللغوي، والتي ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا، كما يتضح أن السياق بمذنب النوعين اللغوي وغير اللغوي يشكل نسقا من العناصر التي تمدّ الدارس بكيفيات فهم الخطاب اللغوي وتأويله التأويل الصحيح، ومنه يتضح أن السياق هو الظروف والملابسات التي تصاحب صياغة الجملة.

3. التواصل البيداغوجي:

يلعب التواصل البيداغوجي دوراً هاماً في الحقل التعليمي، حيث يمثل العنصر الأساسي في التفاهم والتفاعل القائم بين جميع العاملين في المؤسسات التعليمية والتربوية سواء أكانوا أفرادا أو جماعات. وكثيراً ما أدى التواصل السيئ إلى وجود نتائج غير إيجابية، فالتواصل البيداغوجي يمثل ظاهرة حيوية وهامة للتعليم والتربية، حيث يتوقف على مدى نوعيته وكيفية نجاح هذه التربية أو فشلها، وعلى الرغم من ذلك فالتواصل البيداغوجي الصفي لازال من أكثر المجالات التربوية إهمالاً سواء أكان من قبل المربين أو العاملين في المجتمعات المدرسية،²⁵ فالتواصل يمثل أحد المهام الأساسية للعاملين في المجال التربوي، وهو عملية لازمة لكل عمليات التوافق والفهم التي يتوجب على التربويين القيام بها لتحقيق الأهداف المنشودة والمتوقعة من المؤسسة التربوية.

والتواصل البيداغوجي هو عملية تفاعل بين طرفين حول رسالة معنية أي مفهوم أو فكر أو رأي أو مبدأ أو مهارة أو قيمة أو اتجاه إلى أن تصوير الرسالة مشتركة بينهما.²⁶ ويعرفه "عصام كمتور" بأنه عبارة عن عملية تفاعلية نشيطة بين المتعلمين ومصادر التعلم المتعددة والمتباينة في صورة مفردة أو تشاركية بهدف إحداث التعلم البنائي ذو المعنى، تحت إشراف وتوجيهات المعلم في بيانات حقيقية أو إلكترونية.²⁷

وإذا نظرنا في الفصل الدراسي، نجد أن العملية الديداكتيكية الناجحة داخل الفصل الدراسي، تستند إلى تفعيل التواصل التربوي الهادف والبناء، وتنشيط الدرس بصياغة أسئلة ووضعيات متدرجة من البساطة نحو الصعوبة؛ بغية التثبيت من مدى تحقق الكفايات المستطرة، وتنفيذ الأهداف المرسومة من قبل المدرس والمنهاج الدراسي.

وترتبط عملية التواصل داخل الفصل الدراسي، بين مرسل وهو المدرس، ومتلق وهو التلميذ المتعلم، فيقوم المدرس بتقديم المادة الدراسية وفق أهداف وكفايات محددة بدقة، وهذه الأهداف والكفايات قد تكون عامة أو نوعية أو خاصة أو إجرائية. ويقسم المدرس المادة الدراسية التي تعتبر في النموذج التواصلية عبارة عن رسالة تربوية إلى مراحل ووحدات دراسية وأنشطة تربوية.

وانطلاق مما سبق ذكره، يشير التواصل البيداغوجي إلى مجموع العمليات والمظاهر والسيرورات التواصلية التي تحدث بين المدرس والمتعلمين في سياق وضعية تعليمية-تعلمية محددة والتي يتم بواسطتها تبليغ محتوى تعليمي أو تبادل أو تحقيق عملية التأثير المتبادل بين طرفي عملية التعليم



والتعلم. ويتخذ التواصل البيداغوجي في الغالب الإرسال اللفظي وسيلة أساسية، لكنه قد يتم ذلك بواسطة وسائل أخرى غير لفظية معززة للإرسال اللفظي كالحركات والإيماءات وتعابير الوجه وهيئات الجسد ونبرات الصوت وغيرها.²⁸

إذا أردنا أن نعطي تعريفاً جامعاً لمفهوم التواصل البيداغوجي، فإننا لا نجد مفهوماً أنسب لجلاء معناه من الذي أورده "عبد اللطيف الفارابي" في معجم "علوم التربية" باعتباره يضم: "كل أشكال وسيورورات ومظاهر العلاقة التواصلية بين مدرس وتلاميذ أو بينهم أنفسهم، إنه يتضمن نمط الإرسال اللفظي وغير اللفظي، كما يتضمن الوسائل التواصلية والزمان والمكان، وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ ونقل الخبرات والتجارب والمواقف مثلما يهدف إلى التأثير على سلوك المتلقي".²⁹

وفي سياق بناء التعلّمات، فإن كفاية التواصل الشفهي، وتمهيد المتعلم على التكلم يساعد في تنشيط التواصل البيداغوجي الديدكتيكي داخل الفصل الدراسي الذي يبدو رتيباً ومغطياً في علاقته التربوية، وهو وسيلة فعالة لتحويل قواعد اللغة إلى استعمالات، تستضمّر قوانين اللغة، وتقوي الملكة اللغوية. وقد ذهب "نوام تشومسكي" أبعد من ذلك عندما ربط بين نمو الدماغ في أجزائه الخاصة بالإدراك، وبين الحوافز الضرورية التي تقدم له لينمو، ومنها وضعيات التواصل المختلفة والقريبة من الحياة التي تقدم بيئة غنية حافزة لإنضاج المهارات اللغوية والقدرات الذهنية كذلك.³⁰

إن أهم الكفايات المطلوبة في متعلم اليوم، وفي المدرس الجديد، "الكفاية التواصلية" وهي: "قدرة لغوية تترجم معرفة الفرد بقواعد استعمال اللغة في سياق اجتماعي قصد أداء نوايا تواصلية معينة حسب مقام وأدوار محددة".³¹ أي القدرة على نقل رسالة أو توصيل معنى بالجمع بكفاءة بين معرفة القواعد اللغوية، وبين القواعد الاجتماعية في عملية التفاعل بين المتكلمين.³² وهي كفاية فهم وإنتاج خطاب لغوي في وضعيات تواصلية مختلفة، وتتضمن كفايات أو قدرات فرعية عديدة.

يتم بناء قدرة المتعلم على التواصل ومهاراته ومواقفه بدفعه إلى التعبير في سياق وضعيات مركبة في حدود مستواه الدراسي أو مهامه المهنية، موظفاً موارده المختلفة (معارف، مهارات، قيم...) في تناسب مع ضرورات السياق وحاجات التواصل، والمبادلات اللغوية الدالة الواقعية أو القريبة من الواقع وحياة المتعلم.

فضلاً عما يطبع المعرفة من تطور وتحدد مستمرين، فإن التلاميذ في حاجة إلى ما يكمل لديهم الميل إلى إشباع رغبتهم المعرفية ويخلق لديهم الإقبال على المقررات والتفاعل معها، لأنها تستجيب لحاجاتهم. من خلال اعتماد مقاربات مناسبة، تحفز على الملاحظة الواعية، والاستيعاب الصحيح والتحليل السليم واتخاذ المواقف، وتعديل الاتجاهات.³³

إن الكفاية التواصلية شاملة للمهارات اللغوية وتستهدف تحقيق:

- استعمال الأساليب اللغوية المختلفة.

- التركيز على السياق

- مخاطبة المتلقي وفقاً للعلاقة الرابطة بين المرسل والمخاطب.

- انتقاء العبارات الدالة في المواقف المتباينة. وهي معرفة اجتماعية باستعمال اللغة في الموقف المناسب ومع الشخص المناسب.³⁴

أي أن الكفاية التواصلية تتوفر فيها شروط تجمع بين المدرس والمتعلم، والتي تكمن في إتقان اللغة من حيث القواعد والاستعمال، واختيار الأساليب المناسبة حسب السياق والموقف، مع مراعاة البعد الثقافي والاجتماعي للتواصل.



لعقلنة العمل التربوي وتحديد الأولويات والانتظارات والعمليات الإجرائية، لابد من إعداد تخطيط لحصص التواصل، مع العلم أن هذا التواصل غير مرهون بحصة نظامية فحسب، فهو يتعداها إلى كل اللحظات التواصلية في الممارسة الصفية، فهو قدرة أفقية في جميع مكونات اللغة العربية وفي كل المواد المدرسة باللغة العربية. أما حصره في حصص بعينها فلا مسوغ له علميا وتربويا.

من البديهي، أن للفعل التواصلية أهدافا يسعى لتحقيقها ولعل أبرزها هو سعيه إلى "إكساب المتعلم قدرة تواصلية، أي القدرة على التواصل باللغة، في وضعيات تواصلية وفق حاجيات لغوية".³⁵ وهذه الأهداف لا يمكن تحقيقها إلا بتنفيذها على أرض الواقع، وأول خطوة في طريق تنفيذها؛ هي صلبها في محتوى تعليمي على شكل دروس تقدم للمتعلمين.

إن من بين الكفايات كذلك التي تركز عليها الوثيقة الإطار لمراجعة المناهج؛ التمكن من مختلف أنواع التواصل والخطاب. وذلك من خلال التنوع في الأنشطة التفاعلية التي تركز على التواصل بمختلف أشكاله سواء عند البحث عن المعلومة أو عند معالجتها وإيصالها للآخرين.³⁶

إذن فالفعل التواصلية البيداغوجي يقوم بتحديد وحصر الوظائف، التي تخدم المتعلم في تراكيب وألفاظ تعبر عنها بدقة، ومن ثم يصبها في الفصل الدراسي، بدلا من وضع التراكيب والقواعد النحوية دون الأغراض التي تؤديها؛ والسياقات التي تستعمل فيها، فهو بهذا يهتم بتعليم قواعد الاستعمال، ويشكل دافعا قويا لعملية التدريس، لأنه يتلاءم مع رغبة المتعلم ودوافعه ويوافقها، ويشكل حافزا مساعدا على تجاوز صعوبات التعلم، وهو ما يؤول إلى القول بأن التفاهم الناجح لا يحدث إلا إذا أدرك المخاطب مراد المخاطب أي نجاح العملية التواصلية.

المحور الثاني: استثمار السياق التداولي في التواصل البيداغوجي والديداكتيكي

1- أهمية المنهج التداولي في التواصل البيداغوجي

1.1- استثمار السياق في التواصل البيداغوجي

ظل السياق بمعطياته الخارجية مركز استلهم لمختلف الموضوعات التي تولدت في حقل التداولية، فليس من السهل تحديد مجال السياق، حيث يجب الأخذ بعين الاعتبار الجانب الاجتماعي والنفسي والثقافي الذي يؤثر فيه مستعمل اللغة في أي وقت كان، فهو الإطار العام الذي يسهم في اختيار الأدوات والآليات المناسبة لعملية الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب، كما أن مجال السياق واسع لا يمكن تحديده، لذا على المتكلم والمتلقي معرفة ما يحيط به من ظروف اجتماعية ونفسية، وكذلك الزمان والمكان اللذان يتم فيهما عملية التخاطب. فتغدو العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها؛ إذ يراعيها المرسل دوما عند إنتاج خطابه، فلا يغفلها، وذلك بوصفها محددات سياقية.³⁷

ففيما يخص السياق التداولي، لا نكتفي بدراسة الملفوظات اللغوية أو النصوص بمختلف أنواعها فحسب، وإنما أيضا من حيث وظائفها،³⁸ بمعنى أن دراسة أي نص لا تكون بهدف معرفة شكله ومحتواه، وإنما الهدف منها هو معرفة الوظائف التي ينجزها أيضا. فالسياق التداولي يعتمد على تأويل النص باعتباره فعلا للغة، أو متتالية من أفعال اللغة كالعود والتهديدات والتأكيدات... ومهمة التداولية هي أن تعدد الشروط التي ينبغي أن تتوفر في كل فعل لغوي لكي يكون مناسباً لسياق خاص.³⁹

وفي عملية التواصل البيداغوجي (التعليمي) يلعب السياق دورا في ارتقاء الفعل التعليمي إلى المستوى المطلوب، لأنه يؤثر بشكل كبير في كيفية فهم الرسائل والموضوعات التي يتم تداولها في العملية التعليمية التعلمية، على نحو ما نجد في الصف الدراسي من خلال الأمثلة التي توضح كيفية استثمار السياق بين المدرس والمتعلم.



-أمثلة من القسم:

فإذا كان المدرس يقدم الدرس للمتعلم في حصة دراسية ضمن مجال معين يندرج ضمن السياق الثقافي نأخذ على سبيل الأمثلة: (في الفصل الدراسي نجد في منطقة ريفية أو حضرية الحديث عن تقاليد قبائل معينة، ثقافات معينة...).

ويفهم أن السياق الثقافي يضم الخلفيات المعرفية والثقافية من دينية ومعتقدية وأسطورية وما يتعلق بالعوادات والتقاليد التي ترتبط بمجتمعات بعينها فتعد غريبة أو غير دالة في مجتمعات أخرى.⁴⁰ فالمتعلم ينحدر من قبائل تتسم بخلفيات ثقافية متنوعة، تتضمن عادات وقيما مختلفة، وتوقعات تعليمية مختلفة. فهاته الفروق الثقافية يمكن أن تؤثر بشكل كبير في تجربة التعلم والأداء الأكاديمي لديهم.⁴¹

كما نجد المدرس: (يصف منطقة من المناطق المغربية بإيجابياتها، فيتحدث عن جهة الشمال، ثم ينتقل إلى وصف الجهة الشرقية، ويذهب إلى بعض التقاليد الصحراوية وغيرها من المناطق المغربية، وهنا يشير أيضا إلى ذكر بعض العبارات المستعملة لكل منطقة ويقارن فيما بينها، دون المساس أو السخرية بخصوصية أي منطقة...).

علاوة على ذلك، يمكن أن يؤدي نقص الوعي والتفهم الثقافي إلى زيادة التوتر والصراعات بين الطلاب من ثقافات مختلفة؛ مما يؤثر في مناخ المدرسة، ويقلل من فعالية العملية التعليمية التعلمية، فيصبح من الضروري تعزيز الوعي والتفهم الثقافي بين الطلاب، والمعلمين، والمجتمع بشكل عام، من أجل تحقيق بيئة تعليمية متكافئة، ومتضامنة للجميع.⁴²

والمنهاج الخاص بتدريس اللغة العربية يركز على الأسس الثقافية التي تمكن المتعلم من الوعي:

- تنوع روافد الثقافة المغربية.

- شمولية الثقافة المغربية وقدراتها على صيانة الذات والتعبير عنها.

- إسهام الجيل الحاضر في البناء الثقافي، بما يخدم الإنسان المغربي ويجعله منفتحا على الثقافات الأخرى.⁴³

ولذلك، يستحسن من المدرس أن يراعي شروط السياق الثقافي، وأن يأخذ في اعتباره القيم والعادات المحلية والقبلية لكل متعلم، مما يؤثر على الطريقة التي يعرض بها الدرس.

ومن جهة أخرى، نستحضر السياق النفسي من خلال مراعاة نفسية المتعلم، حيث نجده يمر بحالات نفسية معينة، كالتوتر بسبب امتحانات قادمة، أو القلق أثناء اجتياز الامتحانات، فإن المدرس يحتاج إلى تعديل طريقة شرحه للمواد وتوجيه المتعلم نحو الصواب أو تقديم الدعم العاطفي لتخفيف الضغط النفسي. ومعنى ذلك أن المتعلم يحتاج دوما إلى الدعم النفسي من خلال تقويم الجوانب السلبية وتنمية الجوانب الإيجابية.⁴⁴

كأن يستخدم المدرس عبارات مثل:

(لَا تَتَرَكُوا الدَّرُوسَ تَتَرَاكُمُ، سَتُرَكَّزُ فِي حِصَّةِ الدَّعْمِ عَلَى الدَّرُوسِ الْمَهْمَةِ، رَكِّزُوا عَلَى الظَّوَاهِرِ اللَّغَوِيَّةِ "التشبيه"، "الاستعارة"، "الخبر والإنشاء"، وبعض النصوص الحجاجية، سَتَكُونُ أَسْئَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَأَسْئَلَةٌ مُغْلَقَةٌ وَيَضْرِبُ لَهُمْ أَمْثَلَةٌ لِلتَّوْضِيحِ وَهَكَذَا...).

فالمدرس يلعب دورا أساسيا في إنجاح عملية التواصل، وتحقيق هدف المرسل من عدمه،⁴⁵ كونه يراعي السياق النفسي للمتعلم، كما يساهم في تحفيز المتعلم في أنشطته التقييمية.



وفي نفس الوقت يستعمل عبارات أخرى، تساعد في تسهيل أجواء الامتحان وتخفيف الضغط النفسي على المتعلم، (افْرؤُوا السُّؤَالَ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ تُجِيبُوا، لَدَيْكُمْ وَقْتُ كَافٍ لِلْإِجَابَةِ، سَاقِرُ النَّصِّ وَأَوْضَحُ بَعْضِ الْأَسْئَلَةِ، وَيَحْتَمِ تَوَجُّهَاتِهِ بِعِبَارَةٍ: بِالتَّوْفِيقِ لَكُمْ جَمِيعًا).

وفي حالة أن الدرس يُقدَّم في مكان غير مهنيًا تعليميًا نجد القسم مثلا: "مكان غير مجهز بالأدوات الحديثة أو في بيئة غير مناسبة"، قد يكون من الضروري تعديل أساليب التدريس، أو تغيير حجرة القسم لتناسب مع الظروف المكانية المتاحة.

(فأهلية المرسل هي المحك الحقيقي لإنجاز بعض الأفعال اللغوية، التي لا يمكن أن ينجزها الإنسان دون توفر بعض الشروط فيه).⁴⁶

معنى أننا نجد أن السياق يفرض على المتكلم احترام مجموعة من قوانين الخطاب أثناء مخاطبته لغيره. والتداولية تعني بكيفية تأثير ظروف التواصل في الشكل اللغوي الذي يستعمله المتكلم (المدرس) لتبليغ وإيصال مقاصده وغاياته إلى المتلقي (المتعلم)؛ من أجل اكتساب المهارات الأساسية للمتعلم وبلوغ الكفاءات المستهدفة في مختلف المجالات والأنشطة.

نأخذ على سبيل المثال، إذا كان المدرس يقدم درسا يخص مجالا علميا على الكتب المدرسية، ولم يجد تجاوبا ولا انتباها من المتعلم، فينبغي استحضار سياقات تحتكم إلى التكنولوجيا المعاصرة، فهي مقارنة مستقبلية بامتياز، وأنه من السبل الحاسمة التي ينبغي أن تنهجها السياسات العمومية للمساهمة في تحقيق أهداف خطة المغرب الرقمي، وينبغي إدماج تكنولوجيات تربوية وبرامج رقمية مبنية على ثقافة التجديد والابتكار في الأنشطة التعليمية.⁴⁷ حيث يحرص النظام التربوي المغربي على إكساب المتعلمين الكفايات الملائمة لجعلهم مواطنين مؤهلين للمساهمة في تنمية المجتمع على جميع المستويات.⁴⁸

فالسبب يفرض على المدرس استخدام: (أدوات تكنولوجية حديثة للتواصل، مثل "المسلاط الضوئي" عبر "الفيدوهات" أو "المنصات التعليمية"...)، ويجب أن يكون مستعدًا للتفاعل مع المتعلم عبر هذه الوسائل من خلال تقديم محتويات التعلم، باعتباره واقعا جديدا أولى بأن يتم استثماره والبناء عليه، وهذا التحول الرقمي أظهر إمكانية علاج العديد من مشكلات التعلم.⁴⁹

يمكن القول كذلك: إن التواصل الفعال بين المدرس والمتعلم، هو الذي يراعي السياقات المرتبطة بالنشاط المقدم من لدن المدرس، ويتعد عن إهمالها لأنه يشكل قصورا في الرؤيا، ويختار العبارات المناسبة بين اللفظ والمعنى في مختلف المواقف التي تجعل المتعلم يفهم دلالات الكلمات في سياقها دون اضطراب في التواصل أو زيغ عن المعنى المراد.

وقد صاغت مناهج التربية والتكوين بشكل يجعل المتعلم قادرا على التواصل مع الآخر، ويدافع عن الرأي الشخصي ويستعمل أساليب الحجاج وتقنيات التعبير المكتسبة في ذلك، ويكون قادرا كذلك⁵⁰ على التواصل مع المحيط الخارجي والاستفادة منه في إطار التعلم الذاتي.

ومن جهة أخرى، نجد المدرس يخاطب المتعلم عن كيفية التعامل مع الآخر في محيطه حسب السياق الاجتماعي من خلال مختلف الفئات الاجتماعية قائلا:

(لنأخذ مثلاً من الحياة اليومية التي نصادفها في الواقع". (إِذَا صَادَفْتُمْ مُوَاطِنًا فِي مَكَانٍ اجْتِمَاعِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَطَلَبَ مِنْكُمْ تَفْسِيرَ فِكْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ شَرَحَ مَطْبُوعٍ مُعَيَّنٍ أَوْ وَثِيقَةٍ إِدَارِيَّةٍ... كَيْفَ سَتَخْتَارُونَ الْكَلِمَاتِ الْمُنَاسِبَةَ بِنَاءً عَلَى الشَّخْصِ الَّذِي تَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِ؟).

سيجيب المتعلم: (فَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ الَّذِي نَتَحَدَّثُ مَعَهُ يَمْلِكُ مَعْرِفَةً مُسَبِّقَةً عَنِ الْمَوْضُوعِ وَذَاتَ أَهْلِيَّةٍ وَمُسْتَوًى، سَنَسْتَعْمِلُ كَلِمَاتٍ أَكْثَرَ مُسْتَوًى وَدَرَجَةً. لَكِنْ إِذَا كَانَ شَخْصًا غَيْرَ مُحْتَصٍّ وَغَيْرَ مُؤَهَّلٍ لِلْمَوْضُوعِ وَالْمُسْتَوًى الْمَطْلُوبِ، سَنَسْتَعْمِلُ كَلِمَاتٍ بَسِيطَةً وَسَهْلَةً).

وهنا لا بد، من انتقاء مختلف العبارات والأقوال التي تتوافق مع السياق الاجتماعي، واتخاذ التدابير التي تتماشى مع مختلف العناصر السياقية؛ حتى يصبح الخطاب المستعمل مناسباً للغاية معينة.⁵¹



وكذلك في الفصل الدراسي، ينبغي مراعاة أن يأخذ المدرس في الاعتبار أن المتعلم الذي يتحدث معه من حيث المستوى والتفوق، ويراعي كذلك السياق النفسي والاجتماعي والثقافي.

وهذا يُظهر مدى وعي المتكلم بالوضع الذي يستعمله للتخاطب اليومي، فهنا الخطاب ليس موجها للإخبار بقصد ما هو نحو التأكد من أن الكلمات والعبارات مفهومة لدى السامع وأنها صحيحة.⁵² كما يتطلب عند استعمال الألفاظ والعبارات الدائرة بين المدرس والمتعلم، أن تكون مألوفة عنده بعيدة عن الغموض وهذا من أسباب نجاح الرسالة التربوية.

فلا يعقل أن نجد مدرسا في الثانوي التأهيلي يتحدث مع المتعلمين بلغة لا توافق مستواهم، فمثلا نجده يستعمل عبارات مثل: (أَجِبْ عَنِ السُّؤَالِ انْطِلَاقًا مِنْ إِيدْيُولُوجِيَتِكَ الْخَاصَّة، "مَنْ يَنْظُرْ لَنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَيَقُومُ بِتَحْقِيقِهِ)، أو يفرض عليهم معجما لغويا يفوق مستواهم، وغيرها من العبارات التي لا يستسيغها متعلم الثانوي التأهيلي. ففي هذا الحوار، يظهر كيف يستخدم المدرس السياق الاجتماعي والنفسي والمكاني لجعل الدرس أكثر توافقا مع احتياجات المتعلمين، من خلال إدراكه لحالة التلاميذ وبيئة الفصل ومستواهم؛ حتى يتمكن من التفاعل معهم بشكل أفضل وزيادة مشاركتهم وفهمهم، لأن الحاجة إلى مقارنة نفسية اجتماعية جديدة للتعليم والاكساب أضحت من أولويات كل إصلاح تعليمي مرتقب، لأن المدرسة تبني مواطنا ذكيا ماهرا قادرا على تصريف المعارف العلمية المدرسية إلى معارف تقتضيها متطلبات المجتمع في الديمقراطية والتنمية.

ونصادف في الفصل الدراسي عبارات وأجوبة من قبل بعض التلاميذ يسخر فيها سياقات لغوية، لأن ذلك يساعد في تنام وتطور الحصيلة اللغوية بشكل مستمر.⁵³ فيسأل المدرس عن الأخطاء الإملائية الموجودة في الامتحان، فيجيب أحد التلاميذ بقوله: (أستاذ: لَقَدْ تَسَلَّلَ خَطَأٌ إِمْلَائِي إِلَى وَرْقَتِي)، فهنا نلاحظ أن كلمة "الخطأ" استعملها المتعلم كسياق لغوي على اعتبار أنه "لِصٍّ دَخَلَ مُتَسَلِّلًا إِلَى وَرْقَتِهِ" أو تجد المدرس يشرح ويمثل بقوله "سَنَضْرِبُ مِثَالًا" و يلتقطها المتعلم ويستعملها في تعبيره الإنشائي، إلى غير ذلك من الكلمات التي يستوجب من المدرس استعمالها، ليستثمرها المتعلم في ذخيره اللغوية. "ولذلك فكلما زادت حصيلة الفرد اللغوية، تطورت قدرته على استكناه معاني ومدلولات الألفاظ والتراكيب وإدراك مفاهيمها من خلال سياقاتها المتنوعة"،⁵⁴ فالعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا الأخير متعدد، في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك.

كما نجد المدرس يخاطب تلاميذه بعبارات لغوية السياق قائلا: (سَنَسِيخُ فِي هَذَا الدَّرْسِ وَنُحَاوِلُ اكْتِشَافَ الْقَاعِدَةِ)، بعدما كان يعتمد عبارة "انْتَبَهُوا"، أو "رَكِّزُوا" التي سئم منها المتعلم؛ بالمقابل تبدو نظرة المتعلمين غريبة ومندهشة من استعمال كلمة "سَنَسِيخُ" باعتبار أنها تحمل معنى التنزه والرحلة والاكتشاف، وهو ما يبين أن الأستاذ أراد بكلمة "سَنَسِيخُ" وغيرها من العبارات المستعملة في الفصل الدراسي، التأثير في المتعلم، والتي يفهم من سياقها أيضا التركيز الشديد في هذا الدرس المهم، والذي يرمي فيه كذلك إلى تشويق المتعلم وجلب انتباهه. ولذلك فإن هذه الأنواع المختلفة من السياق تترابط فيما بينها وتجمعها علاقات متنوعة ومن أهم هذه العلاقات هو تسهيل التفسير التداولي للقضايا والمواقف التواصلية.

فالعمل التواصل المنبثق عن اللسانيات التداولية في مجال التدريس يركز على تطوير قدرة المتعلم التواصلية وتفعيل مهاراته التعليمية وتحقيق طاقته اللغوية ودرجة فاعليته مع الاستعمالات الوظيفية للغة. "فمن البديهي أن السياق بهذا التنوع يضيق ويتسع، وينعكس هذا التنوع على الخطاب: في شكله والقصد منه وتأويله".⁵⁵

وعليه، فإن الأمثلة كثيرة في هذا الجانب سنحاول الاختصار على ما ذكرناه سابقا، ونترك الأمر الآخر للكتاب المدرسي الذي سنكون من خلاله أمام محطة مهمة، من خلال مناقشة مختلف السياقات المعتمدة ودراسة حضورها في الكتاب المدرسي بشكل مفصل، وهو ما يؤكد لنا أن السياق غني بمفاهيمه المستعملة بكل أنواعه، كوسيلة تواصل حية، حيث ينزل في الخطاب البيداغوجي ويتجه فيه الاهتمام إلى البحث في أثر التفاعل التخاطبي في الخطاب من خلال جعل اللغة المعتمدة جسرا بين المدرس والمتعلم، وهذا التفاعل الذي يدعونا في عملية تحليل الخطاب



إلى استحضار مختلف المعطيات والسياقات اللغوية من جهة والسياقات غير اللغوية؛ أي التخاطبية المتعلقة بعملية التلفظ من جهة أخرى وتشمل مقاصد المتكلم وأغراضه ومعتقداته.



خاتمة:

إن خلاصة هذا البحث، أن الخطوات التي سرنا عليها ستساهم بشكل كبير في تحديد الإشكالية المراد دراستها وتسطير الأهداف التي نريد الوصول إليها، وبيان أهميتها وتحديد المفاهيم البارزة والمرتبطة بالظاهرة مع الاستعانة بكل الجوانب النظرية التي تطرقنا إليها، والتي سنقوم بتنزيلها في الجانب التطبيقي.

وبهذا، كشف هذا الفصل عن مجموعة من الأبعاد التداولية نذكرها على الشكل الآتي:

أن من القضايا المهمة التي شكلت مدار الاختلاف بين هذه الاتجاهات اللسانية والتداولية والسيمائية الحديثة؛ مفهوم التواصل، حيث ظل هذا المفهوم مرتبطاً بكل هذه الحقول المعرفية فلا نكاد نجد اتجاهها لم يتعرض له. فالاهتمام بالتواصل انتقل من حقل اتجاهات بنية اللغة، إلى اتجاهات التخاطب والتحاور، فقد أحدث الفعل التواصل تغييراً جذرياً في العملية التعليمية-التعلمية، بدءاً من خلال إعادة النظر في مكونات المناهج والبرامج من منظور حديث، ومروراً بأقطاب المثلث الديديكتيكي، وانتهاءً بكل المفاهيم والقضايا المتعلقة بالكتاب المدرسي، فقد مسّ هذا التأثير كل جوانب عملية التدريس نظرياً وإجرائياً.

كما أخذ السياق مساراً أكثر بُعداً مع الدراسات التداولية، والتي عمّق أصحابها مسألة السياق اعتماداً على تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي. وأمام ما يواجهه المصطلح وأمام قلة الدراسات فيه، فلا نكاد نعثر عليه إلا كلمحات متناثرة بين الاختصاصات والكتب والمؤلفين قديمهم وحديثهم وعربهم وغربهم.



الهوامش:

- ¹ أنظر: التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي.
- ² أنظر: التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي.
- ³ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، منشورات الإنماء القومي، ط، 1987م، ص 10
- ⁴ خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2009م، ص 15
- ⁵ ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ج5، مادة: "دول"، ص 327
- ⁶ الفيروزآبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، مادة: "دول"، ص 1001
- ⁷ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ط 2، ص 27
- ⁸ طه عبد الرحمن، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2016م، ص 244
- ⁹ المرجع نفسه، ص 248
- ¹⁰ أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2011م، ص 13
- ¹¹ المرجع نفسه، ص 14
- ¹² عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، دار كنوز المعرفة، القاهرة، ط، 2021م، ص 193-194
- ¹³ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص 11
- ¹⁴ الجوهري إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تقى أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 4، 1990م، مادة "سوق"، ص 149
- ¹⁵ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة منقحة، ج 3، مادة "سوق"، ص 2154
- ¹⁶ سورة (ق)، الآية: 21
- ¹⁷ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط 1، 2001م، الجزء 21، ص 432
- ¹⁸ ردة الله بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد، السعودية، 2005، ص 41
- ¹⁹ عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، ص 190
- ²⁰ فوزي عيسى، علم الدلالة (النظرية والتطبيق) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 2008، ص 59
- ²¹ تمام حسان، اجتهادات لغوية، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2007م، ص 237
- ²² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص 45
- ²³ مجدي وهبة، معجم المصطلحات الأدبية، ص 89
- ²⁴ عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط 1، القاهرة، دار المنار، 1411هـ، ص 205
- ²⁵ عصام ادريس كمتور، تطور التعليم العالي بالجامعات السودانية، باستخدام معطيات تكنولوجيا التعلم، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة الأزهر، 2006م، ص: 34
- ²⁶ ريماء مالك فضيل، فاعلية التواصل اللغوي لدى أطفال ذوي اضطراب التوحد، دمشق، 2005م، ص: 59
- ²⁷ عصام ادريس كمتور، تطور التعليم العالي بالجامعات السودانية، باستخدام معطيات تكنولوجيا التعلم، ص: 35
- ²⁸ محمد أيت موحى، "العلاقة التربوية طبيعتها وأبعادها"، دفاير التربية والتكوين، ع1، أكتوبر، 2009م، ص: 14
- ²⁹ عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط 1، 1994م، ص: 44
- ³⁰ نوام تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ت حمزة المريني، ط 1 دار توبقال، الدار البيضاء، 1999م، ص: 250
- ³¹ عبد اللطيف الفارابي، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط 1، 1994م، ص: 45
- ³² رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 2004م، ص: 174
- ³³ التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، ص: 13
- ³⁴ وليد العناتي، العربية في اللسانيات التطبيقية، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، ط 1، 2011م، ص: 7
- ³⁵ علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي. دار الثقافة للنشر. ط 1. 1998م. ص: 89
- ³⁶ ينظر: التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، ص: 15
- ³⁷ عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ص: 72



- ³⁸ علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص: 82
- ³⁹ فان ديك، النص بنيته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص، من نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط، 1997، ص: 66
- ⁴⁰ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 69-71
- ⁴¹ مروان محمود حسن، "الفروق الثقافية في التعليم"، مجلة نقد وتنوير، مصر، ع 19، 2024، ص: 5
- ⁴² مروان محمود حسن، "الفروق الثقافية في التعليم"، ص: 9
- ⁴³ التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، ص: 14
- ⁴⁴ محمد الطيب، "دور الأخصائي النفسي المدرسي في العملية التعليمية"، مجلة الدراسات العربية، ع 1، 2022م، ص: 89
- ⁴⁵ عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص: 72
- ⁴⁶ المرجع نفسه، ص: 73
- ⁴⁷ عبد الحق منصف، "تعدد النماذج البيداغوجية في المنظومة التربوية وسياسات التغيير"، دفاتر التربية والتكوين، ع 12، ص: 14
- ⁴⁸ التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، ص: 3
- ⁴⁹ محمد إبراهيم الدسوقي، "الرقمنة والتعليم"، مجلة الإدارة التربوية، ع 43، 2024م، ص: 14
- ⁵⁰ التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، ص: 14
- ⁵¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ص: 76
- ⁵² المرجع نفسه، ص: 78
- ⁵³ أحمد المعتوق، "الخصيلة اللغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها"، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 212، 1996م، ص: 50
- ⁵⁴ المرجع نفسه، ص: 51
- ⁵⁵ عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص: 44